اذا امسك القلم سنحت المعاني

واذا قصد بالسفر اصلاح الهواء وجب ان لا ينسى اصلاح الماء ايضاً فاذا مضى المريض او الضعيف الى بلد من اطيب بلدان الدنيا هواء ولكنه فاسد الماء لم ينتفع شيئاً لان الماء الفاسد سبب المرض والضعف كالهواء الفاسد. والماء نقيٌّ طبعاً ولا يفسد الاَّ من استعمال الانسان له وطرحهِ الاقذار فيهِ او حفرهِ في مكان لا يجري منهُ. فاتقِ المياهَ سيما الينابيع المتفجرة من الارض فانها تخرج نقيَّة خالية من كل شائبة تلألأُ كالبلور وتشف كالهواء وليس فيها الاَّ ما يزيد نفعها . وانا نكتب هذه الاسطر ونفوسنا تحنُّ الى ربى لبنان

وتَرَقْرُقِ الماء القراح على حصًى كالدرِّ والياقوت والمرجانِ

فعلى من ضعف بدنهُ او كلَّ دماغهُ من التعب والشغل او من الهموم والغموم او من فساد الهواء وعوادي الادواء ان يلتجئ الى الارياف وشواطىء البحار او يذهب الى بلاد جبليَّة كلبنان وسويسرا ولا يقيمنَّ هناك امام الكأس والطاس كما يفعل البعض ولا حول الورد والورق كما يفعل كثيرون بل يتنزَّه في الكروم ويصعَّد في الجبال ويتمتع باستنشاق الهواء المطلق وشرب الماء النقيِّ من الينابيع وقطف الفاكهة من اغصانها فانهُ يرى الحياة تتجدَّد والغموم تتبدَّد وينشد قول من قال

خلِّ المدائن والهمَّ المقيم بها وروِّح النفسَ تأويبًا وادلاجا

ضواري الهند

في بلاد الهند اكثر من مئتين وخمسة وخمسين مليونًا من السكان وقد كانوا منذ سنين قليلة ممالك متفرقة يحارب بعضها بعضًا ويفني بعضها بعضًا فلما ارتفع فوقهم علم بريطانيا العظمى واستتب الامن بعد استقلال بر الاجنبي انصرف همُّ الحكام الى ترقية شأن الشعب وازالة كل ما يعيق تحسنهم وراحتهم. ومعلوم ان الانسان يطلب الكماليات حالما يكتفي من الحاجيات ولذلك لما استتبَّ الامن في بلاد الهند وبطل سطو الناس بعضهم على بعض انصرف همُّ الحكام الى ابطال سطو الضواري على الناس والمواشي فان الضواري كثيرة والهنود يرهبونها رهبة دينية فلا يقدمون على قتلها من انفسهم الاَّ نادرًا ولذلك تقتل منهم في السنة نحو الثلثين وسبع مئة شخص وتقتل من مواشيهم اكثر من

مئتي الف رأس وهذا كثير جدًّا عند من يقدرهُ قدرهُ ولذلك اخذت الحكومة تغري الناس بالمال على قتل الضواري فدفعت سنة ١٨٨٧ اكثر من مئة وخمسة وستين الف ريّة لهذهِ الغاية ودفعت لقتلة الافاعي السامّة نحو ثمانية وثلاثين الف ريية واقامت بعض العلماء الاعلام للبحث في طبائع الضواري والافاعي ليسهل على الناس معرفتها وقتلها . ومن اشهر الذين بحثوا في هذه المواضيع السر يوسف فابرر وهو اكبر ثقة في معرفة حيوانات الهند وقد رأينا لهُ رسالة مسهبة في هذا الموضوع نشرها في الشهر الماضي فاقتطفنا منها اكثر ما يأتي لما فيهِ من الفوائد العلميّة

اشهر ضواري الهند واشدها فتكًا الفهد الهندي ويعرف ايضًا بالنمر الهندي وبالنمر المخطط وهو لا يوجد الاَّ في اسيا ولا يكثر الاَّ في بلاد الهند . وهو مجدول العضل شديد البأس حاد المخالب قوي الانياب حاد البصر والسمع كانهُ خُلق للحرب والبطش بضرب النور الكبير بيدهِ فيصرعهُ على الارض ثم يحمله ويمضي بهِ الى عرينهِ ليأكله على مهل

ولونهُ اصفر فاقع الاَّ بطنهُ فانهُ ابيض وظهرهُ وذنبهُ وقوائمهُ معلمة بخطوط سوداء فاحمة ويختلف لونهُ باختلاف سنهِ ومسكنهِ فالصغير اشدُّ دكنةً من الكبير وفهد الغاب اشدُّ دكنةً من فهد السهول المكشوفة وفهد الصين اطول شعرًا من فهد الهند والغالب ان لونهُ يشبه لون الغاب الذي يقيم فيهِ فيستترهُ عن العيون لا خوفًا منها بل ليغتالها غيلةً . واكبرهُ في غابات الهند وجسم الكبير منهُ اكبر من جسم الكبير من الاسود واذا قيس حال موتهِ من انفهِ الى آخر ذنبهِ فالغالب ان طولهُ عشر اقدام انكليزية وقد يزيد على ذلك فان السر يوسف فابرر قاس واحدًا حال موتهِ فوجد طولهُ عشر اقدام وثلثي القدم وقاس غيرهُ واحدًا بلغ طولهُ اثنتي عشرة قدمًا ولكن ذلك نادر جدًّا ومتوسط طول الذكر من تسع اقدام الى عشر ومتوسط طول الانثى من ثماني اقدام الى تسع فقد قاس السر يوسف فابرر ٣٦ فهدًا فكان متوسط طولها تسع اقدام وعقدتين ونصف وقاس احدى وعشرين فهدةً فكان متوسطها ثماني اقدام وعقدتين ونصف . والانثى اصغر قدًّا من الذكر واخف منهُ حركةً واشد منهُ بطشًا ولا سيما اذا كانت جراؤها معها

وللفهد اسماء كثيرة في بلاد الهند قاسمهُ في بنغال باغ وفي الشمال الغربي شر وفي اواسط الهند ناهور وفي بلاد التامول بولي وفي ملابار بارمبولي وفي كنارا بس هولي وفي بهوتان طاخ . وكان معروفًا عند الرومانيين وقد ذكرهُ بلينيوس وغيرهُ من الكتاب وقالوا ان اوغسطس قيصر وكلوديوس جاءا بهِ من بلاد الهند الى رومية . ولا يحصر وجودهُ الآن

في بلاد الهند بل يوجد في سيام وبرما وملقا وسنغابور وجافا وصومترة والصين وبخارا وهندكوش وبلاد الفرس الى جبال ارارات ولكن اكثر وجوده في بلاد الهند كما تقدّم ولا سيما في حراجها وغاباتها . ويوجد بعضه في القفار بين الصخور والادغال بعيدًا عن مساكن الناس ولكن اذا عضه الجوع يهاجم القرى القريبة فيعيث فيها و ينتك بماشيها و بسكانها ايضًا . واذا اشتد عليه البرد خرج هائمًا على وجهه ولكنه لا يبعد كثيرًا عن عرينه واذا اشتدّ الحر لزم السكينة وقلّل الجولان فاقام في النهار في غابة تظلله من حر الشمس وسرى الليل في طلب قرائسه

والغالب ان يكون عرينه بقرب القرى فيفترس منها ثورًا كل يومين او ثلاثة وقد يعتاد على افتراس الناس فلا يبقي في القرية احدًا فانه يفترس بعض اهاليها ويهرب الباقون من وجهه واذا لم يجد النمران اكتفى بالغزلان والخنازير البرية ولكنه يفضل النمران لانها اكبر جسمًا واسهل افتراسًا وكذلك الجواميس الصغيرة واما الجاموس الكبير فانه يقاومه وقد يتطحه فيجرحه جرحًا مميتًا وكذلك الخنزير البري لا يؤمن شرّه فقد يرجع النهد عنه خاسرًا . واذا هجم على قطيع من البقر او من الجواميس وقف القطيع كلّه في دائرة ووقفت النمران حول الدائرة وداقعت عن القطيع كلو دفاع الابطال فاذا رآها على هذه الحالة احجم قليلاً وانتهز فرصة ابتعاد واحد عنها فيهاجمه منفردًا و يصرعه واذا درت النمران به فالغالب انها تسرع لنجدته وتطرد النهد عنه ولو كان جريحًا . وقد تجوع النهود فيفترس بعضها بعضًا وتأكل الجيف والحيوانات الصغيرة والضفادع والاسماك وربما اكلت جراءها ايضًا

قيل ان النهد اذا ذاق لحم البشر استطابه فصار يفضله على غيره . ولعل سبب ذلك انه اذا تغلّب على الخوف الطبيعي من الانسان فافترسه مرة استضعفه ولم يعد يخشى بأسه وحينئذٍ يشتد عيثه ويكثر فتكه بالناس فان نهدًا اقام في نيبتال ثلاث سنوات افترس في غضونها مئتين واربعين شخصًا . وكثيرًا ما يحدث ان النهد يقيم على احدى الطرق فيربطها ويمنع السابلة ويفترس كل من مرّ به ماشيًا كان او راكبًا . والنهود لا يعبأون بذلك كثيرًا فيذهب الحطّاب والراعي الى قرب عرينه غير متوجسين شرًا وقد يطردونه بالطبول والمشاعل فيهرب منهم وهو لو لوى عليهم لاهلكهم ولكنه لا يلوي الاّ اذا كان جريحًا . وقد تقدم انهم يرهبونه رهبة دينية والغالب انهم لا يدلون عليه الاجانب ولو افترس مواشيهم لانهم يخافون ان يناله منهم اذى ولو بعد موته . وفي

بعض جهات الهند لا يتطفون باسمه بل يكنون عنه بقولهم ابن آوى او الوحش . واما اذا قتله احد غيرهم فرحوا بذلك فرحًا عظيمًا . ويتخذون مخالبه وشعر شاربيه عوذًا وتمائم ويتداوون بشحمه بين داء المفاصل ويأكلون لحمه لتزيد قوتهم وشجاعتهم . والاعتبار الاول عندهم لمخاليه وشعر شاربيه حتى يتعذر ايجاد جلد لم تنزع منه

ويعتقد جمهورهم ان جراح النمر سامّة . ولا يُعلم سبب ذلك الاّ ان يكون على انيابه ومخاليبه شيء من فضلات اللحم المنتنة السامّة ولكن الارجح ان جراحهُ تكون خطرة لا لانها سامّة بل لانها شديدة الغور

وزئير النمر كزئير الاسد ولكنهُ لا يزأر كثيرًا بل يهر هريرًا والغالب انهُ يبيّت فريستهُ ليلاً ويثب عليها وثبة صادقة ويمسكها برقبتها ويجلد بها الارض فيدق عنقها ويبقى قابضًا عليها الى ان تفارق روحها البدن فيحملها الى غابه ويطرحها بقرب كناسه ويأكل منها كفافهُ ولا يزال يتردّد عليها الى ان يأكلها كلها ولو انتنت وقد ينوش عظامها ايضًا . وتحوم العنبان والغربان والبواشق حول الفريسة فيهتدي بها اليه وقد تأخذ منها الجرأة حتى تخطف اللحم من امامه وكثيرًا ما يكون ذلك صفقة خاسرة عليها فتذهب ضحية الطمع

واذا لم يعتد النمر على افتراس الناس فلا خوف عليهم منهُ والهنود يعلمون ذلك فيطردونهُ عن فريسته كما يطردون ابن اوى ولكنهم اذا رموهُ فجرحوهُ او اذا احاطوا به فسدوا في وجهه طريق الهرب ارتد عليهم وبه من الغضب والحرد ما تشعر منهُ الابدان فيضرب الواحد منهم وينتله بضربة واحدة او بعضة في كتفه ويطرحهُ على الارض ويتركهُ ولا يحمله الى عرينه الاّ اذا كان من آكلة البشر . وله وثبات صادقات وقد يثب الى ظهر الفيل ويصارع راكبهُ

ومن طبع النمر الجبن والحذر والوحشة فاذا تبعهُ الصيادون اختفى من وجههم حالاً فلا يمكنهم صيدهُ الاّ اذا جرحوهُ اولاً فانهُ يرتد عليهم حينئذٍ بدراسة تكبر عن الوصف فيرمونهُ بالرصاص ويقتلونهُ وقد لا يفارق الحياة ما لم يثب على واحد منهم ويوردهُ حتفهُ قبل موته

ومن طبعه ايضًا انهُ يحب الماء والسباحة ويتشبث لحى الاشجار بمخاليبه تشبثًا ما

ومدة حمل النمرة من اربعة عشر الى خمسة عشر اسبوعًا وتلد جروين او ثلاثة وقد تلد اكثر من ذلك الى ستة وتبقى اجراؤها معها الى ان تبلغ اشدها وهي حريصة

عليها اشد الحرص فتربيها وتمرنها على الصيد وحينئذٍ يكثر عيثها في البلاد فتقتل كثيرًا من حيواناتها لتعليم اجرائها . وتبلغ الاجراء اشدها بعد سنتين من عمرها فتترك امها حينئذٍ وتسعى في طلب رزقها

وبصاد الفهد رميًا بالرصاص او بالسهام السامّة او بالمصائد والاشراك او يُدَسّ له سم الاستركنين في الطعام . وقد صيد منه سنة ١٨٨٧ الف واربع مئة وثمانية وفي السنة التي قبلها ١٦٩٢ . وقتلت الفهود من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٨٨٧ سبعة آلاف وثلثمئة شخص وشخصًا و١٥٨٨٤٥ رأسًا من المواشي والمتوسط السنوي ٩١٢ شخصًا و١٩٨٥٥ رأسًا اي لا يُقتَل ثلاثة فهود حتى تقتل الفهود رجلين و٤٣ رأسًا من الماشية

ومن ضواري الهند الاسد وهو قليل فيها ويكاد ينقرض منها والفهد اكبر منه جسمًا واشد بأسًا ولكن رأس الاسد يزيد مهابة ولو لم تكن لبدته كثيفة كالاسد الافريقي ويقال انه اشرف خلقًا من الفهد وفرائسه من الغزلان والجواميس والخنازير والمواشي وقد يفترس الجمل والفرس والانسان ويستجير الحمار عليها كلها . ولا يختلف الى المستنقعات والغياض كالفهد بل الى الصحاري والقفار . واللبوة اصغر قدًا من الاسد ولا لبدة لها وتلد من ثلاثة اجراء الى ستة دفعة واحدة ومدة الحمل ١٠٨ ايام واجراؤها رقطاء

ومنها النمر المرقط وهو اصغر من الفهد فلا يزيد طوله عن ثماني اقدام وهو اخف حركة من الفهد واشد منه جرأة فيتبع فريسته الى البيوت والمضارب ولا يخشى من احد ويفترس الثيران والظبي والكلاب والطواويس . وقد يعتاد على افتراس الناس فيكون اشد فتكًا من الفهد . وبلغ عدد ما افترسته النمور سنة ١٨٨٧ مئتي شخص وعشرة اشخاص و٢٤١٢١ رأسًا من المواشي وقُتل منها تلك السنة ٢٨٢٢

ومنها الضبع وتسكنها التلال الصخرية وتفوق الصخور في بعض السهول وهي نليلة في بنغالا ولا توجد في سيلان وتختفي في النهار وتجول في الليل في طلب فرائسها . وتأكل الجيف والحيوانات الصغيرة وتسطو على الغنم والمعزى والكلاب اذا كانت ضعيفة ولم تستطع ان تدافع عن نفسها . ولها صوت قبيح جدًا ومع جبنها قتلت سنة ١٨٨٧ سبعة عشر شخصًا اكثرهم اولاد وعجائز وقتلت ايضًا ٢٧٤٨ رأسًا من المواشي وقُتل منها تلك السنة ١٣٩٠ ضبعًا . وقتلها سهل لانها لا تدافع عن نفسها وقد يفيض عليها الخنود بايديهم فلا يسلم منها ضرر . وسيأتي الكلام على بقية الضواري